محمد عنانى

أصداء الصمت

شعر

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٧



اصداء الصمت

تصمم الغلاف والرسوم

نجـوى شلبـى

المقدمة

قرأنا فى صبانا أن الخوارزمى قال إن من روى عيون الشعر العربى ولم يخرج إلى الشعر فلا شيب الله قرنه ، وهو بهذا يسبق نظريات النقد الحديثة جميعاً ، إذا افترضنا (وهو يفترض) وجود موهبة من لون ما ، فالذى يتمثل التراث الأدبى فى عقله ووجدانه مهما يكن حظه من الموهبة لابد أن يقول شيئاً يدخل فى عداد الأدب !

ولطالما أحجمت عن قول الشعر بل وأنكرت حظىَ من تلك الموهبة ، وإن كنت استعنت بالنظم فى التأليف المسرحى (**الغربان** - ١٩٨٧)

و(جلسوس فى قصر السلطان - ١٩٩١) وفى ترجمة الشعر . ولكن الصمت الذى فرضه علىّ القدر شهوراً طويلة بسبب مرض ابتلانى الله به ، دفع إلى وجدانى بكلام منظوم لم أعرف له وصفاً، وأخاف أن أسميه شعراً، ولكن بعض الأصدقاء ممن أثق فى حكمهم أشاروا علىّ بأن أطرح هذا الكلام على الناس فربما تقبلوه بقبول حسن.

وهذا أيها القارئ هو هذا الكلام. إنه وحى الصمت الذى لزمته فى محبس طويل، فإن وجدت فيه ما يروق فقد صدق من أشار علىّ بنشره، وإن لم تجد فترفق فى حكمك ولا أظننى بحاجة إلى قول المزيد.

محمد عنانى
القاهرة - ١٩٩٧

استهلال

يا صاحبي

هذي وريقاتٌ تَجاذَبُها الرياحُ

جمَعْتُها ، صفَفْتُها ، لكنّها انطَوَتْ

وكُلُّ ما لقيتُ من عنَتْ

في نبْشِ ماضٍ قد صمَتْ

يُفْضِي إلى صُوَرٍ قِفارٍ شاحِبةْ

مَنْ ذا يُكابِدُ صُحْبَةَ الماضِي فيَنْعَمْ ؟

يأساً أنادمُ مـاضـيـةً ، وأعـيـدُ رَسْمَ حيَاتيةً ،
والبـاسـمـاتُ حـواليةً ، منْ ذكـريـاتٍ فَانيةً ، أو
مُضْحِكاتٍ باكيةً ، يُخْفين نَفْساً واهيةً

والشاديات الهائماتُ مع المساءْ

هَيْهَاتَ أنْ تَجْنِي النَّعيمَ من الهبَاءْ

من ذا يكابدُ صحبةَ الماضى فلا يَنْدَمْ ؟

تلك التى جمعتُها

أشتاتُ أفراحى وحُزْنى



تحكى عن الأُلفةِ والغُرْبَةِ فى زَمَنى

ولا أقولَ قولَ صاحبِ الزَّمنِ الجَريحِ إنَّنى(*)

أُنكِرْتُ فى رحابِ وَطَنى

فإننى سعدتُ بالذى يَعْرِفُنى

لكنَّنى ما زلتُ فى وَسَنى

أحكى عن الزَّمَنِ

والعُمْرُ يلهثُ لَهْثَ من تَقَطَّعَتْ به السُّبُلْ

حتى غدا يشتاقُ مشرقَ الأَمَلْ

(*) صلاح عبد الصبور

على ضِفافَ الرُّوحِ عندما تَذُوبُ غِلْظَةُ الجَسَدْ

وعندما يَنْحلُّ طينُنا من الجَهَدْ

فتشرقُ الأضواءُ فوقَ سُنْدِسٍ بلا نِهايَةْ

ويستريحُ من يَظُنُّ أنَّهُ

كانتْ لَهُ بِدايَةْ .



بحور الشعر

قد يَغْضَبُ العَرُوضُ من تَجاسُرِى

أو تَضْحكُ الأشْعارُ من تَهَوُّرِى

إذا تَلاَطَمَتْ فى نَظْمِىَ البحُورْ

وأثْمَرَتْ شُجَيْرَتى

ما لَمْ يَدُرْ بِخَاطِرِ الجُذُوعِ والجُذُورْ

فالرَّاجِزُ ابنُ عَصْرِنا لا يأنَفُ الهَزَجْ

إذا به امْتَزَجْ

أو استحال ' كاملاً ' بِرَغْمِ يأسِهِ

وخَانَهُ فى جَهْرِهِ وهَمْسِهِ

أو خَالَ أَمْوَاجَ ' الرَّمَلْ '

إذا تَلَصَّصَتْ بين الثَّبَجْ

مَتَاعَ كُلِّ رَاكِبٍ مَتْنَ الُّلجَجْ

من الزِّحَافِ والعِلَلْ !

وإن تَمَازَجَتْ ' أهزاجُه ' و ' وافِرُه '

أَفْتَى بأنّ شِعْرَهُ مشاعرُهُ

وصاحَ مُحْتجاً بقول يَعْصِمُهُ



(الشِّعْرُ صَعْبٌ وطويلٌ سلَّمُهُ)

لِكُلِّ عَصْرٍ فى القَرِيضِ لُغَتُهُ

وكُلُّ شاعِرٍ لدَيْه مذْهَبُهُ

لكنَّنى واللّهِ مـــا قَصَدْتُ أنْ أُشارِكَ الأمــــراءَ ألْحانَ الفَخَارْ

او أنْ يُتَوِّجَ هامَتى إكليلُ غَارْ

ولستُ أرْجو موْقِعاً بيْن السَّحابِ او تَسنُّمَ الذُّرا

او أطْلُبَ المعَالى أوْ أُناجِزَ العُلاَ

فإنَّ صوْتِىَ الحَمِيمَ واهِنٌ خَفِيضْ

هَيْهاتَ أنْ أشْدو كَمِثْل مَعْبَدٍ أو كالغَرِيضْ

وكُلُّ ما لَدَيَّ من رُؤىً بعضُ وَمِيضْ

سوانحُ القَرِيضْ

امشاجُ أنْغَامٍ تنَاهَتْ للأُذُنْ

وَقْتَ المِحَنْ

وأنا أُطِلُّ مِنْ علٍ

فأَرَى مُحِيطَ الدَّهْرِ يبْتَلِعُ الزَّمَنْ

والماءُ طوفانٌ يفورُ إلى القُنَنْ

من يَعْصِمُ الإنْسانَ مِنْ أَمْرِ الإلهِ إلاَّ مَنْ رَحِمْ ؟

فى الكَوْنِ دوَّاماتُ رِيحٍ صرْصرٍ وعاتيةْ

هلْ كُنْتُ نفْساً لاهيةْ ؟

هلْ استمَعْتُ للنَّذيرِ عنْدَماَ جاءَ النَّذيرْ ؟

ما أقْبحَ البَسْمةَ فى وَجْهِ المَنُونْ

المدُّ يَعْلو والسَّفِينُ يضيعُ فى لُجَجِ الهَديرْ

(هذَا الذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونْ)

هلْ آنَ لِلأمْواهِ أنْ تَغيضْ

أمواجُ نفْسٍ هاجَ فى أرْجائِها بَحْرٌ عَرِيضْ

شاَقهَا شَطُّ الأمَانْ

تَاقَتْ إلى الوَرْقَاءِ والزَّيْتُونِ والرَّوْضِ الأَرِيضْ

ولِلأَمَاسِيِّ الحِسَانْ

الغَافِلاَتِ عَن الزَّمَانْ

وبَوَارِقِ الأَحْلاَمِ فى عَلْيَا الجِنَانْ .



فــي الكهــف

هلْ تذْكرُ إذْ آويتُ إلى الصّخْرَةِ

فى قلْبِ الجبَلِ السّامِقْ ؟

هل تذْكرُ كيفَ سمِعْنا دقّاتِ الظّلّ المُنْتَظِمةْ

مِثْلَ النّبْضِ الخافِقْ ؟

هلْ تذْكرُ كيفَ انْداحَتْ فى عيْنِ الماءْ

حلَقَاتُ النُّورِ الآبِقْ ؟

هلْ تذْكرُ كيفَ همَسْتْ :

ذلكَ ما كُنّا نَبْغى

كَيْماَ أَرْتَدَّ على آثَارِى قَصَصاً ؟

بالأمْسِ رَجِعْتُ إلى الصَّخْرَةَ

لكنّى لم أَجِدْ الآيَةْ

لمْ أَشْهَدْ فى البَحْرِ سَفِينَةْ

وجِدَاراً يُوشِكُ أَنْ يَنْقَضّ

فالكَهْفُ خَلاَ من أصْدَاءِ الظِّل

والنَّبْضُ خَفَتْ

والزَّمَنُ يُقَهْقِهْ

هَلْ كانتْ تِلْكَ الرِّحْلَةُ وَهْماَ

وسَرَاباً فى عَيْنِ الخَضْرَاءْ ؟





غـــــروب

خَريرُ المياهِ يُرَدِّدُ للشّطِّ حَرْفَ انْكِسارْ

لقد طَالَتْ الرِّحْلَةُ الصّاخِبَةْ

وكادَ يُوَلِّيَ النَّهارْ

وأَطْرَقَتِ الشَّمْسُ فَوْقَ الغُصُونِ

تُجَاذِبُ أَضْوَاءَهَا الغَارِبَةْ

فَهَيّا نُلَمْلِم أَطْرَافَ ثَوْبٍ كَسَاهُ الغُبَارْ

ونُلْقِي علىَ الرَّمْلِ أَمْوَاجَنَا الّلاغِبَةْ

خَرِيرُ المِيَاه غَدَاَ نَغَمَاً كَفَحِيحِ الأَفَاعِي

صَرِيرُ الجَنَادِبِ بُحٌّ بِحلْقِ المَرَاعِي

ولَمْ تَتَلَفَّتْ سِوَى بَرْغَشَةٍ

تَحُطُّ على ظَهْرِ خُنْفُسَةٍ نَاعِسَةٍ

كأنَّ النَّسِيمَ صَدَى بَسْمَةٍ يَائِسَةٍ

يُبَشِّرُ صَمْتَ المَسَاءِ بِحلْكَةِ لَيْلٍ طَوِيلْ

غَرِيبَانِ يا لَيْلُ نَحْنُ هُنَا

حروفُ انكسارِ المِيَاهِ تُرَدِّدُ أنَّا ابتَدَعْنا الأَمَلْ



وأنَّ الـخُـمودَ هـوَ النامةُ المُنْذِرَة

بِلَيْلٍ جَدِيدْ

وصُبْحٍ يُبَشِّرُ مثلَ المساءِ بِكَرِّ العَدَمْ

تُرى كيفَ عادَ الهَديرُ فَجَاشْ

كما جاشَ في النَّارِ نَبْضُ الشَّرَرْ

يُزَمْجِرُ آنًا وآنًا يئِنُّ كأنَّ نِداءَ الحيَاةِ انْتَصرْ

كأنَّ الضِّرامَ سجينُ اللِّسانِ وأَنَّ الكَلاَمَ به يَنْتَشِرْ

حَنَانَيْكَ يا لَيْلُ رِفْقاً بِخِدْنِ الرَّجاءِ القَديمْ

تُراهُ يَهُبُّ إذا الرِّيحُ هبَّتْ

تُرَاهُ يُشكّلُ بَعْضَ الصُّوَرْ ؟

تُرَاهُ يَبُثُّ الحيَاةَ بِدُنْيَا السَّدِيمِ

وَهَلْ يَسْتَعِيضُ عن الصَّائِتَاتِ بِعُمْقِ الفِكَرْ ؟



إلـــى شلـــى

أشـجارُ السَّرْوِ على جانبِ شارعِنا

نَفَضَتْ أَوْرَاقاً صَفْرَاءْ

وارْتَعَدَتْ فى البَرْدِ ذَوَائِبهُا

بِحفِيفٍ صامِتْ

ما بالُ خَرِيفِ اليَوْمِ كتُوماً ذا وَجْهٍ شاحِبْ

أَيْنَ الزَّفرَاتُ وريحُ الغَرْبِ العاصِفةِ الهَوْجَاءْ

أَيْنَ شَيَاطِينُ الأَوْراقِ القَانِيَةِ الحَمْرَاءْ

رُحْمَاكَ شِلِى

ما بالُ الفَصْلِ العاتِى يَتَسلَّلُ كاللِّصِّ الأغْبَرْ

ويَبُثُّ على وَجْهِ الأرضِ نَسِيماً كفَحِيحِ الأفْعى ؟

هَلْ ذاكَ شِتَاءٌ فى جِلْدِ خَرِيفٍ يَتَخفَّى ؟

أشجارُ السَّرْوِ على جَانِبِ شارِعِنا

ذاتُ الأفْنَانِ العَارِيةِ الحَسْناءْ

تَتَطلَّعُ يائِسةً لرَبَابٍ أسْمَرْ

قَزَعٌ يتَلَوَّنُ جَوْناً أبْيَضَ أسْوَدْ !

يَتَلَبَّدُ أو ينْسَحِبُ فيَعِدُ ويتَوَعَّدْ

والطَّبْلُ الأجْوَفُ يُرْعِدُ فيه ويبْرِقْ

يمْلأُ جنَبَاتِ اللَّيْلِ حَنيناً لِلْمَوْلِدْ

لكنَّ اللَّيْلَ إذا أغْطَشَ يلْقِيهِ إلى أيْدِى الرِّيح

فإذَا فاجأَهُ الصُّبْحُ تَمَزَّقْ

قد نَضَبَ مَعِينُ الجبَّارِ وجَافَاهُ المَرْقَدْ

وغدَتْ أغْصَانُ السَّرْوِ الحَسْناءْ

تبْكى كذِبَ المَوْعِدْ

أشجارُ السَّرْوِ علَى جَانِبِ شَارِعِنا
جَمُدَتْ
باتَتْ ثَابِتَةً كخُطُوطٍ فى لَوْحَةِ رَسَّامٍ بَارِعْ
مُتَشَابِكَةً مُتَعَانِقَةً لكنْ لا تلْقى ظِلاً بالشَّارِعْ
ولسوفَ تَدُورُ الشَّمْسُ بِمِحْجَرِهاَ
كالعَيْنِ البَيْضَاءْ
تَعْرِفُ أَنَّ أَشِعَّتَها لَنْ تَصِلَ إلى الأغْصَانْ
وبأَنَّ المَاءَ سرَابٌ تَحْمِلُهُ هبَّاتُ الرِّيحْ
وبأنَّ الأَفْنَانَ ستَقْضى هذا الفَصْلَ حَزِينَةْ
وبأنِّى مثلُ السُّحْبِ ومثلُ الأَفْنَانْ

إلى ابن المقفع

قد يَفْغَرُ التِّنِّينُ فَاهُ ضَاحِكاً وينْتَظِرْ

اغوارُهُ سحيقةْ

قد ينْظُرُ الفِيلُ الرّهِيبُ طَامِعاً

إلى البِئْرِ العَمِيقةْ

قد يدْأَبُ الحَدثَانِ كالجِرْذَانِ تَقْرِضُ الأَجَلْ

لِيَسْقُطَ الذى تَعَلّقَتْ يداهُ بالغُصْنَيْنِ فى فَمِ التِّنِّين

ويُنْكِرَ الذى أَلْهَاهُ من حَلاَوَةِ العَسَلْ

وخاَتِلِ الأملْ

عن قَهْرِ أَخْلاَطِ البدَنْ

أو عن تدَبُّرِ الذى يلْقَاهُ فى جوْفِ المِحَنْ

لكنّنى إنْ كنتُ قد نَجَوْتُ من فِيلِ الزَّمَنْ

فإنّنى غدَوْتُ آلفُ التِّنّينْ

ولم يَعُدْ يُخيفُنى كرُّ السّنين

ففِى حلاَوَةِ العَسَلْ

اصبحتُ أعرفُ الذى تَعْنِيهِ سكْرَةُ الأملْ !





إلــى ابنتــــى

هذا الذى تَرَيْنَ يا صَغِيرتَى

نذيرُ صُبْحٍ يَتَبَخْتَرْ

يَدِبُّ فى أَقْطارِ هذا الكَوْنِ مُخْتَالاً ويَهْدِرْ

قد غرَّهُ أنَّ الحيَاةَ فى عرُوقِهِ تُزَمْجِرْ

فَظَنَّ أنَّه سيَمْلِكُ السَّماءْ

وأَنَّ قُوَّةَ الضَّياءْ

ستَنْشِىءُ الذى لا يَعْرفُ الفَنَاءْ

هذا الذى تَرَيْنَ يا صَغيرتى يرْغى ويُزْبِدْ

ما زالَ فى الآفَاقِ منْبتًا فلا أرْضاً قَطَعْ

ولا نُوراً أشعّ

ذرّاتُ ودَقٍ واهنةْ

قَهَرَتْ ضياهُ وخلّفتْهُ حائراً ماذا سيَصْنَعْ

كيفَ استَطاعتْ تِلْكُمُ الذرّاتُ أن تَغْشَى السَّماءْ

وتُذِيبَ نارَ أتُونِىَ الجبّارِ فى لَفْحِ الهَوَاءْ

فكأنّما عدْنَا إلى سدُمِ العمَاءْ

والكونُ صارَ إلى فضَاءْ



هذا الذى تَرَيْنَ يا صَغِيرَتى خلْفَ الغَمَامْ

لم يَدْرِ أنّ الدِّيمَةَ الدَّكْنَاءَ

صانعةُ الحيَاةْ

وحُسْنُهَا المُنْسابُ فَوْقَ مَهْمَهِ الخَضْراءْ

يُشيعُ فى الأرْضِ النَّمَاءْ

كأنّها حوّاءْ

قدْ خُلِقَتْ مِنْ مَاءْ

لكنّهُ - صَغِيرَتى - لَنْ يَعْرِفَ البَقَاءْ

لأنّهُ لم يَعْرِفِ الفَنَاءْ

حبيس النهر

لايَرْجِعُ ماءُ النَّهْرِ إلى النَّهْرْ

إلاَّ إنْ صارَ سَحَاباً وتَسَامَى

وتبَاَهَى فى الشَّفَقِ بألْوانِ الزَّهْر

والْتَمَعَ مَعَ الفَجْرِ بِذَوْبِ الفِضَّةْ

وانْتَفَشَ مع الهبَّاتِ الحَارَّةِ فى وَقْدِ الصَّحْوَةْ

كى يَصْعَدَ فَوْقَ الجبَلِ يُرِيدُ القِمَّةْ

وعِناَقَ المُزْنِ مع النَّسَماتِ المَقْرُورَةْ

ثم ارْتَعَشَ فرَقٌ وذَابَ فمَالْ

وانْحَدَرَ على السَّفْحِ إلى خَانِقْ

مَحْمُوماً كالنَّبْعِ الدَّافِقْ

عبَرَاتٍ لا تَدْرِى مَنْ تَبكى

سيْلاً يَحْملُ من أَحْلاَمِ القِمَّةِ أَعْشَابَ الوادِى

وفُتَاتَ الرِّحْلَةْ

مُنْطَلِقاً نَحْوَ البَحْر

حتَّى يتَسامَى ويَعُودَ لِيَرْحَلْ

كَيْماَ يتَبَاهَى فى وَجْهِ الخَضْراء

كىْ يَحْياَ

لم يَعْرِفْ قلْبى وَجْهَ الخَضْراء

إذْ ما زَالَ حبِيسَ النَّهْر الأَوَّلْ .



أريج الطرس

كَيْفَ أُمْسِي والـلَّيْلُ يَسْمَعُ هَمْسِي
خَافِقَ الحلْمِ بيْنَ يَوْمِـــي وأَمْسِـــي

قَارِئـاً لِلْغُيُــوبِ قبْــل التَجلِّــي
دُونَ نَجْــوى ودُونَ نَأْمَـــةِ حِــسٍّ

شَــارِداً فـــى جبِيــنِ جَـارَةِ وادٍ
تُصْبِحُ الحَــادِثَاتُ فِيــهِ وتُمْســى

وعُيــونٍ كـأنَّهــا اللَّيْــلُ ســـرٌّ
مَوْلِـــدى كَالْحياةِ فِيهـا ورَمْسي

وأَيَـــادٍ كَأَنَّهـــا وَرَقُ الـــــوَرْ
دِ نمَتْهـا السَّمَاءُ من كُلِّ قبْسِ (*)

(*) من على محمود طه .

وعلَــى بَسْـــمةِ المُحَـــيَّا دلاَلٌ

عـــادَ لي بالشَّبَابِ مــن كلِّ جِنْسِ

كــيــفَ أهفُو إلــى ابْنَةِ الماءِ والموْ

جِ وطَــوْقُ الـبِيْداءِ يَخْنُقُ نَفْســـى

كيــفَ رُمْتُ الرَّجَــاءَ وهْوَ مُحَالٌ

ورأيتُ الآمــالَ فـــى عُمْقِ يأسِى

لا تلُــمْ عاشِــقاً رمَـتْهُ الليالـــى

فى عُبَابِ الأحْلامِ تُؤْسِى وتُنْســى

لا تلُــمْ مُبْحِـراً بغيْـــرِ شِــراعٍ

لا يَـرَى فــى الظَّلاَمِ أيَّانَ يُرْسِــى

لــمْ يَعُـــدْ فــى الحياةِ غيْرُ أريجٍ

لرَحِيـــقٍ مِـــنَ الحيَاةِ بطِـرْسِــى

دبيب الصمت

طالَ صمتُ البابِ حتّى قلتُ ماتْ

ودُفِنْ

وتَصلَّبَتْ أُذْنَايَ فى بَرْدِ السُّكونْ

فأَنَا أُذُنْ

سَمِعَتْ أَحادِيثَ الذُّبَابْ

ودَبِيبَ أَقْدَامِ النَّسِيمِ علَى التُّرَابْ

وتَعَجَّبتْ من تَمْتَمَاتِ الصَّمْتِ عنْد البَابْ

صوتٌ يَطِنّ

ويَطُولُ صَوْتْ

يُذْكِى الحرَارةَ فى دَمِى

وتَرَدَّدَتْ أَصْوَاتْ

بُحَّتْ بِحلْقِ السُلَّمِ

ثُمَّ انْثَنَتْ

وتَمَاوَجَتْ فى البَهْوِ نَحْوِى وذَوَتْ

وتَجَاذَبَتْ أُذْنىَّ أَطْرَافُ الزَّفِيفْ

وخُطَى الحَفِيفْ

ثُمَّ الصَّدى

حتّى الصَّدى المسكينُ ماتْ

قد غُصَّ حلْقى بالرُّفَاتْ

يا صاحِبى

بينى وبينَ الناسِ بابْ

بينى وبينَ النَّاسِ ألفُ حِجَابْ

لم لا تدقُّ الدَّقَّةَ المُرْتَقَبَهْ

فيهبُّ فى قلْبى النَّسيمْ

وأعودُ للأَحْيَاءِ يا بَابَ النَّعِيمْ



توقف الزمن

مِحَنْ مِحَنْ

تَقَلَّصتْ اصابعُ الزَّمَنْ

وطَافَ بالمساءِ طائِرٌ وأَنّ

فى مَسْمَعِ الوُجودِ مِنْ وَهَنْ

'جنَاحِيَ الجبَّارُ إنْ يلِنْ

'فى قبْضةِ المِحَنْ

'فسوفَ أجْتَازُ الفضَاءَ للْقُنَنْ '

الطائرُ الهَرِمْ

يَمْضي بِهِ أَلَمْ

منقارُهُ المَعْقُوفُ يَبْتَسِمْ

وبَطْنُهُ وذَيْلُهُ تَخَضَّبَا بِدَمْ

والجُرْحُ سَيَّالٌ ولمَّا يلْتَئِمْ

وعَيْنُهُ تُطِلُّ نَحْوَ ذِرْوَةِ الذُّرا

تَقَلَّصَتْ أَصابِعُ الزَّمَنْ

اللَّيْلُ حَطَّ والمَساءُ فَرّ

وأُبْدِلَ النَّهارُ ظُلْمَةً وقُرّ

تَوَقَّفَ النَّسيمُ والجَنَاحُ كَلّ

ودِفْءُ نَبْضِ القَلْبِ يَدْفَعُ المَلَلْ

فقِمّةُ الجبَلْ

تلُوحُ لِلْهَرِمْ

وقبْلَ أنْ يحُطَّ قبْلَ السّحَابْ

وعنْدما اشْرَأبّ رأسُهُ تَجَرّعَ السّرَابْ

لكنّه لَمّا جَثَمْ

وأَدْرَكَتْهُ قِمّةُ القِمَمْ

غنّى وغنّى ثُمّ أنّ

هَيْهَاتَ يا مِحَنْ

تَوَقّفَ الزّمَنْ .



ضحايا الأسرار

يا صاحِبةَ العيْنيْنِ الحالِمتيْنِ ترى

ماذا تُخْفِينَ مِنَ الأسْرَارْ

الحَدقةُ ليْلٌ مَجْهُولُ الأغْوارْ

وبُحَيْرَةُ نَفْسٍ صافِيةٍ تَعْرِفُها كُلُّ الأطْيارْ

وتُغَرِّدُ فيها عِنْدَ الغَسَقِ لِربِّ الأشْعَارْ

وعلَىَ الأهْدَابِ بَرَاعِمُ كالنُّوّارْ

يَنْسلُّ شذَاهَا فى الهَدْأةِ مثل الأفكار

يُنْبِئُ عَنْ سَمَرٍ فى ضَوْءِ البدْرِ ولكنْ

يَمْنَعُ أنْ يأتِي السُّمَّارْ

يَدْعُو ويَصدُّ يُضِيءُ ويُحْرِقُ كَالنَّارْ

يا ويْلَ غَرِيبٍ لَمْ يُدْرِكْ أَنَّ الضَّوْء شرَارْ

فغَدَا يَسْأَلُ إنْ كَانَتْ بالأَفْنَانِ ثِمَارٌ أَوْ أَزْهَارْ

أَغْوَتْهُ الأَشْجَارْ

فابتَلَعَتْهُ الأقْدَار !

يا صاحبةَ العَيْنَينِ السَّاحِرَتَيْن تُرَى

كَمْ عَدَدُ ضَحَايا الأَسْرَار ؟

ألـــــوان ـ ١

قُلْ كيفَ تكونُ الوَرْدَةُ بَيْضـاءْ

وتَضـُوعُ شـذًا أَحْمَرَ فى كُلِّ الأَرْجَاء

قُلْ كيفَ تكونُ الأَوْرَاقُ الـخَضْراءْ

أهدابَ عيونٍ نَجْلاءْ

قُلْ كيفَ زَهَا العودُ بأَلْوان دكْنَاءْ

والتاجُ على المَفْرِقِ فَجْرٌ وَضّاءْ

رَفَّتْ وَرْدَتىَ البيْضاءْ

فى قلْبِى ذَاتَ مَسَاءْ

فَسَمِعْتُ خَرِيرَ النِّيلِ على ظَهْرِ الصَّحْراءْ

ورَأَيْتُ رَبِيعاً يُولَدُ فى قلْبِ شِتَاءْ

وشَبَاباً يَرْجِعُ بى لِحَيَاةِ الأَحْياءْ

يَسْخَرُ من نَجْوَى العقْلِ ورُشْدِ الحُكَمَاءْ

ياوَرْدَتى البَيْضَاءْ

لا ضَيْرَ علَيْكِ من الأَلْوانِ الدَّكْناءْ !





ألــــوان ٢٠

يا صاحِبةَ الوَجْهِ المُشْرق

كيفَ رَضيتِ بألْوَانِ الأحْزَانْ

يا صاحبةَ الرِّيش الزَّاهِى

كيفَ تخَافِينَ الطَّيَرانْ

هل تاَقَ القَلْبُ إلى الغَسَقِ الحالِكِ

فكَسَا العُودَ سوادَ اللَّيْلِ الوَسْنَانْ

أولَمْ يَعْرفْ خضْرَةَ وَدْيانِ العُمْرِ

ويَسْمَعْ تَمْتَمَةَ القُطْعَانْ

أَوَلَمْ يَسْبَحْ فى زُرْقَةِ مَاءِ البَحْرِ وأَلْوَانِ الشُّطْآن

أَمْ خَافَ الأَصْفَرَ لَوْنَ الغَيْرَةِ او لَوْنَ الكُثْبَانْ

أَمْ خَشِيَ القَانِى لَوْنَ العِشْقِ

فَأَجْفَلَ مِنْ وَقْعِ الخَفَقَانْ

هَلْ ضَاقَ بِأَلْوانِ الدُّنْيا الزَّاهِيةِ

وآثَرَ أَمْنَ النِّسْيَانْ

قَلْبُكِ يا صَاحِبَةَ الوَجْهِ المُشْرِقِ

قَبَسٌ من وَحْيِ الرَّحْمن

صاغَتْهُ تبَاشيرُ الصُّبْحِ وأَشْواقُ الإنْسانْ

وشُعَاعٌ يُومِضُ مثل البرْقِ فيَهْدِى الحيْرانْ

وضِياءٌ عاتَبنِى إذْ غابَتْ عن عيْنِى الألْوانْ

ألْوانُ العُمْرِ سرَابٌ

ما أكثرَ ما تَخْدَعُنا الألْوانْ !

إلــى أميــرة

وَجْهُكِ يا أَميرَةْ

مُسافِرٌ في نَسْمَةِ المَساءْ

فى زَوْرَقٍ غَرِيبْ

يَنْسابُ فَوْقَ صَفْحَةِ السَّماءْ

دُونَ شِراعْ

ولَحْنُ شَوْقٍ من بَعِيدْ

لَحْنُ وَداعْ

يُطِلُّ منْ سَحَابَةٍ ويَغِيبْ

لكنّه يعُودْ

بِبَسْمَةٍ كأنّها فَرْحٌ حزِينْ

تَمَسُّ وَجْهَ هذِهِ الأميرَةْ

فتَعْقِدُ الجَبِينْ

وَجْهُكِ يا أَميَرةْ

قصيدةٌ تقول لا تَزُمِّي الحاجِبَيْن

فبَسْمَةُ العَيْنَيْن

تُشْرِقُ فى الشَّفَتَيْن

وعِنْدَهَا تَهُبُّ فى سَرِيرَتِى

نَسَائِمُ الصَّبَاحْ

وَجْهُكِ يا أَمِيرَةْ

قَصِيدَةٌ مُتْرَعَةْ

لا تَسْكُبِى أَلْحَانَهَا علَى الثَّرَى

بل انْثُرِى عَبِيرَهَا

فى غَفْوَةِ الغَسَقْ

وهَدْأَةِ اللَّيْلِ الطَّوِيلْ

اللَّيْلُ كَهْفٌ يا أَمِيرَةْ

يَزْخَرُ بالأَصْدَاءْ

وأَلْحَانُ دَمِي

تَعْرِفُهَا السَّمَاءْ

فلْتَسْمَعِي الذى ابْتَدَرْ

ولَمْلِمِي الذى انْتَثَرْ

قُبَيْلَ مَطْلَعِ النَّهَارْ

فالصُّبْح يَفْضَحُ الأَسْرَار

إلى جمال الغيطاني

اضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرَ ولا تَخْشَ الوَهَنَا

فلَقَدْ خَالَطْتَ ملائكةَ الزَّمَنِ علَى مِنْضَدَةِ الجرَّاحِ

وَجاوَزْتَ الزَّمَنَا

ولَقَدْ حُمِّلْتَ رِسالَةَ حُبٍّ لِعيُونِ الخُلْدِ ففَجَّرْهَا

عيْنًا عيْنًا

النَّبْعُ هُنا رَغْمَ الظُّلْمَةِ لا يَعْرِفُ وَطَنَا

وعلَى ظَهْرِ الصَّحْرَاءِ المُوحِشِ نُورٌ يَخْفُقْ

كَبَصِيصِ الجَمْرِ المُوقَدِ شَجَنَا

فى قَلْبِكَ وَمْضَةٌ

فَى قَلْبِكَ عَيْنُ المَاءِ ونَبْضَةٌ

فاضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرَ فقَدْ جَاوَزْتَ الزَّمَنَا





نـــــــزوة

فى ليْلِ عيُونِك نَزْوَةْ
وَحْشٌ ضارٍ يتلَوىً
يتَواثَبُ يَصْرُخُ فى الهوُّةْ
إذْ تتْلُو الوثْبَةَ كبْوَةْ
غفْوَةْ
ماذا فى طوْقِ المِسْكينْ
إلاّ الغفْوَةْ
الغفْوَةُ فى ليْلِ عيُونِكِ صحْوَةْ

وصَبَاحٌ مقرورُ النَّسَمَاتْ

ليتك يا حلْوَةْ

كنتِ نَسيماً

أَنشقُهُ فى الصُّبْحِ فيَسَرِى فى الجَنَبَاتْ

مثْلَ النَّشْوَةْ

فى دَمِ شفَتَيْكِ السَّاخِنِ أَشْوَاقُ القُبُلاَتِ الحلْوَةْ

وحَديثٌ تَعْرفُهُ أَصْدَاءُ الصَّمْتِ وتُنْطقُهُ القَسْوَةْ

لحنُ الشَّفتَيْنِ الآنَ كَسيرٌ قدْ فقَدَ القُوَّةْ

ماذاَ فى طَوْقِ اليَائسِ إلا عبَثُ النَّزْوَةْ





القصة

كانَ النهارُ ذابلَ العيْنَيْنِ والأنْسَامُ واهنةٌ ، فأوْقدَ البقّالُ مصْبَاحـاً ليقْهرَ الظّلالَ فى أعْمَاقِ دُكّانهْ ، وكنتُ وَاقفاً بلا حرَاكٍ صَامتاً أتَابعُ الحَديثَ بيْن طفْلَةٍ وأُمّهـا . لم ينْتَبهْ إلى الّذى تبْغيه صاحبُ الدُكَانْ ، إذْ كَانَ مَشْغُولاً بعدِّ مـا فى الدُّرْجِ منْ نقُودْ ، كىْ يُسلّمَ الدُكَانَ للصّبِيّ . (وَرْدِيّةُ المَسَاءِ قدْ تَمْتدُّ للصّبَاحْ) .

كانتْ زُهيْرةً تَفتّحَتْ كأنّهَا ابتسَامَةُ الربيعِ للزّمَانْ ، تعلّقتْ بذَيْلِ أُمّهـا تَشدُّهُ علَى عَجلْ ،

وعَيْنُهَـــــا عـلـى حلاَوَةِ الـعَسَلْ ، وعِنْدَمَا اسْتَدَارَ صاَحِبُ الـدُّكَّانِ خَارِجاً تلَفَّتَتْ فـى دَهْشَةٍ وَجَمُدَتْ . وراَعهَا وَجْهى الّذي عبَثَتْ بِهِ أَصاَبِـــــعُ الجرَّاحِ ثُمَّ صاَحَتْ :

« امّى انْظري فَمَ الرَّجُلْ ! »

كـانتْ كأنّما قَدْ مَسَّهـا وَجَلْ ، كأنّها تَخَافُ ذلكَ الغــريبْ ، لـكّنهـا لـم تَرْتَعِدْ ، وَحـرَّكَتْ سبَّابَةً منَ العقيقِ ثُمَّ أَرْدَفَتْ :

« أُمىّ انْظُرى ! أُمّى انْظرى ! »

« يا بنت عيب اسكتى ! »

وعِنْدَمَا تَلَفَّتَتْ وُجُوهُ الوَاقِفِينَ حَوْلى ، تَسْتَطْلِعُ الـــوَجْهَ المُرِيـــبْ ، غَامَتْ بِعَيْنَىَّ الـــرُّؤَى ، وخَرَجْتُ أَنْشقُ المَسَاءْ ، هَوْنَاً عــلــى ظَهْرِ الـــطَّرِيقْ ، وصِيَاحُ تـــلــكَ الـــطِّفْلَةِ الجَمِيـلــةْ ، يَقْفُو خُطَاىَ كَأَنَّهُ شَبَحٌ رَهـــيــبْ ، لَمْ أَسْتَدِرْ لأُنَازِلَهْ ، أَنَّى لِمِثْلــي أَنْ يُنَازِلَ القَدَرْ ؟ أَنَّى لِمِثْلِي أَنْ يُطَاوِلَهْ !

هذا الَّذِى دُهِشْتِ مِنْهُ يا صَغِيرَتى

وخِلْتِ أَنَّهُ كَبَا بِهِ اللِّسَانُ فانْكَفَا

ما زَالَ قَائِماً .. يُرَتِّلُ الآيَاتِ فى الأَسْحَارِ

حتَّى مَاجَتِ الأَسْحَارُ بالأَلْحَانْ

ويُنْشِدُ الأنْغَامَ فى وُجْدَانِهِ فيَنْشِدُ الزَّمَانْ

وتلْتَقِى فى عيْنِهِ عرَائِسُ الصبَّا

وتَزْدَهِى بِزِينَةِ الفنَاءْ

راقصةً خُصُورُهَا النَّحِيلَةْ

حَالِمةً شعُورُها المُنْسَدِلَةْ

أريجُها ينْسَابُ فى خَفَرْ

ليَنْشُرَ الصَّحَائِفَ الَّتى انْطوَتْ

ويَبْعَثَ الحيَاةَ كلَّ لَحْظَةٍ بِكلِّ قلْبْ

فَيُشْرِقَ النَّهَارُ فى الدُّجَى

وتَغْرُبَ الشُّمُوسُ فى الضُّحَى

ويَمْتَدَّ الزَّمَن

هذا الذى خَشِيتِ مِنْهُ يا صَغِيرَتى

وخِلْتِ أنَّهُ شُعَاعٌ انْطفَأ

ما زَالَ فى جَنْبَيْهِ جَمْرُهُ الدَّفِينْ

يَئِزُّ باللَّهِيبْ

وينْشرُ الضّياءَ قلْبُهُ الأمِينْ

فيَهْتدِى السّارُونَ بالدِّفْءِ القَرِيبْ

ويَقْبِسُونَ من شُعَاعِهِ اليَقِينْ

ما زَالَ بُرْكَانُ الصِّبَا فى صَدْرِهِ يَفُورْ

لكنّه كالنّارِ إنْ ثَارَ فبَرْداً وسَلاَمَا

فى كُلِّ لَفْظَةٍ تَمُوْر

وكُلِّ لَفْحَةٍ تَدُورْ

فالنَّبْعُ منْ نَارٍ ونُورْ

لم يلْبَثِ الحَالِمُ أنْ هَبَّ فقَامَا

هذا الذى راَعكِ يا صـَغِيرتَى

وخِلْتِ أَنَّهُ جنَاحٌ انْكَسرْ

ما زالَ يَزْهـُو بالقَوَادِمِ والـخَوَافيِ

إنْ شـاَءَ تَحْلِيقاً سـَمَتْ به القوَافيِ

ورَفَّ بين الـورْدِ والأقَاحِي

ليَنْشـِقَ العبَيرَ هـَائماً فى كُلِّ وادِى

كُؤوسـُهُ على الرِّيَاضِ مُتْرَعَةْ

وعيْنُه بالـحُسْنِ مُولَعَةْ

ورُوحهُ بالعِشْقِ مُوجَعَةْ

لكنّه يُكَابِدُ المَرِيرَ والأمَرّ

ويَعْرِفُ المَحْظُورَ إنْ نَظَرْ

فإنّهُ رأَىَ الخلُودَ ذَاتَ لَيْلَةٍ حينَ غفَا

وشاَقهُ الأُفقُ المَدِيدُ إذْ بَدَا ثُمَّ اخْتَفَى

وراَعهُ الزّمَانُ سارِباً بِلا حُدُودْ

إذ حَطَّمَ الفؤَادُ ما يَشدُّهُ مِنَ القُيُودْ

فأصبحَ القَدِيمُ كالجَدِيدِ والبَعِيدُ كالقَرِيبْ

وَمْضاً مُخَايِفاً كأنَّهُ سَنَاؤُه الشَّرِيدْ

وأصبحَ الزَّمَانُ كلُّه فيْضَ خلُوُدْ

هذا الذى عَجِبْتِ منهُ يا صغِيرتَى

وخِلْتِ أنَّهُ غرِيبْ

قدْ عادَ للدُّنْيا كَضَيْفٍ لَنْ يُقِيمْ

مِنْ حوْلِهِ الأشْيَاءُ أشْبَاحٌ كأطْيَافِ السَّدِيمْ

ورُؤَاهُ فى أعْمَاقِهِ تَنْثَالُ كالنُّورِ الحمِيمْ

فى وَاحَهِ الزَّمَنِ القَدِيمْ

فَهْوَ الَّذى يَحْيَا بِمَاضٍ لا يَرِيمْ

وكِيَانُه يَقْتَاتُ بالأَمَلِ العقَيمْ

هلْ كانَ لِلشُّعَرَاءِ يَوْماً انْ يروَا شَطَّ النَّعِيمْ ؟

عاشق الحسن

ضَـــاعَ العَبِيــرُ إذْ بَـــدا
سَـــنَاؤُهُ علَـــى المَـــدَى
وانْسَـابَ كـالحُـلْم الـغَـ
ـــريبِ شَـارِداً وأبِـــداَ
يَخْـتَالُ فِــى عَـرْشٍ يتـــيـ
ـــهُ فِضّـــةً وعَسْـــجدَاَ
ووَجْــهُهُ الـصَّبُـوح الـشّمـ
ـــسُ حُسْـــنُهَا تفَـــرَّداَ
والـسِّحْرُ فــي الـعَيْنَيْنِ فــي
كَهْــفِ الـغَـــرامِ رَقَـــدا

لَكِــــنَّ نِيَــرانَ الشَّـــفا

ه جَمْرُهَــــا مَــا خَمَـدَا

وَبَيْنَهَـــا النَّضِــيدُ لُؤْلُــ

ــؤَا هَمَــــا وبَــــرَدَا

يُذْكِـــى جمَــالَ الخَـدِّ يَــ

ــزْهُو مُزْهَــرًا مُــورَّدَا

وَيَبْعَـــثُ الألْحَـــانَ فـــي

كُـــلِّ النُّفُــوسِ مُنْشِــدَا

لِفَرْحَــةِ القَلْـــبِ الكَسِــ

ــيرِ فـــي النَّعِيـــمِ أبَــدَا

لِفَرْحَـــةِ الحَـــيَاةِ وانْتِــ

ــصَارِهَــا بِنَــا غَـــدَا

هَــلْ قلْتُ شمَسٌ عــامــداً
إنّــى كفَــــرْتُ عامِــــداَ
بَــــلْ أنْتِ بدْرُ الّيْلِ بَــــا
تَ ســــاَهِداً ومُسْـــــهِداَ
رآيتُـــــــهُ عَشِـــــقْتُهُ
وَذُبْتُ فِيــــهِ كمَــــــداَ
مَــــنْ يَعْشَقُ الجمَالَ هوْناً
هَــــــلْ لهُ أنْ يَسْــــعدَاَ
مَــــنْ يَعْشَقُ المُحَـــالَ دوْماً
ضَـــاعَ عِشْـــقهُ ســُـــــدَى

تَبَسَـــمَـــتْ لأنَ طيِّـــ

ــرِيَ الحبيسَ غَـــرَّداً

ورَاحَ يرْجُـــو موْعِـــداً

وكَيْفَ يرْجَـــو مَوْعِـــداً

مِـــنْ ربَّةِ الأحْـــلاَمِ تَـــز

هُـــو عِـــزَّةً وسُـــؤْدَداً

لكنَّـــه انْتَشَـــى وصَـــا

رَ بالخَيَـــالِ مَـــارِداً

يَـــا ربَّةَ الأحْـــلاَمِ رِفْقَـــا

قَـــدْ أتَيْتُ عَـــابِـــداً

فـــاللّحْـــنُ رنَّ خَـــافتاً

وانْدَاحَ فـــي رَجْعِ الصَّدَى



أَنْغامُـــه مِـــنَ السَّـــماَ
مِزْمَـــارُ داَوُدِ شَـــداَ
واَلـقلْـــبُ طَـــارَ نَحْـــوَهاَ
والـشَّـــوْقُ فِيـهاَ عَرْبَـــداَ
وكُـــلُّ عيْـــنٍ عِنْـــدَهاَ
تَـــوَدُّ لَـــوْ أَنْ تَسْـــجُـداَ
فَالآنَ فِيـــكِ المُنْتَهَـــى
مِـــنْ عُمْـــرِناَ والمُبْتَدَى
نَحْـــيـا بِأمَـــالٍ عِـــراَ
ضٍ لَيْسَ تَعْـــرِفُ الـرَّدَى
ونَخْـــدَعُ النَّفْـــسَ بِأنَّـــا
سَـــوْفَ نَحْياَ سَـرْمَـــداَ

شاديـــة

صَمَتَ الشّادِى

فتَرَامَتْ أَصْدَاءُ الصَّمْتِ بِبَطْنِ الوادِى

وتَرَنَّمَ بالصَّمْتِ الغَادُونَ إلى المَوْعِدْ

غَابَتْ كُلُّ نُجَيْماتِ الفَجْرِ الوَسْنَانْ

أفَلَ الفَرْقَدْ

وتَبَدَّى فى الأُفُقِ الشَّرقىِّ خَيَالٌ

يَرْتَعِشُ كأنَّ المَوْعِدَ حانْ

سبّح لِلّهِ الكَوْنُ بِعُمْقِ المَعْبَدْ
حتّى النّسَماتُ البَارِدَةُ انْتَفَضتْ
شلّتْ من هَوْلِ الخشْيَةِ وجَلالِ المَوْلِدْ

صمَتَتْ شادِيَةٌ فرَجَعَتِ الدُّنيا أصْدَاءَ الصّمْتْ
وتَساقَيْنا ألْحانَ الصّمْتِ كأنّا نَقْشانْ
نَسِيهُمَا الفنّانُ الفِرْعَوْنيُّ علَى بَعْضِ الجُدْرانْ
والشّمْسُ تُزِيحُ الظّلّ وتُلْقِي بالجَمْرِ المُوقَدْ
اللّحْنُ يَدِفُّ بِبَطْنِ الصّخْرِ دَفِيفَ العَابِدْ

والصَّمْتُ يُذَكِّرُ أَبْنَاءَ المَعْمُورةِ باللَّحْنِ الأَوْحَدْ

سبْحَانَ اللّه

اليَوْمُ وُلِدْ

واليَوْمُ يَمُوتْ

ويَظَلُّ الصَّمْتُ حَبِيسَ المَوْعِدْ

عمر نجم

مشْ عارفِ الليلْ والاّ شأشاةِ القَمَرْ

خلْفِ الشجرْ

والجَوّ باردْ زمهريرْ

نَبّهْ عيوني واتْفزَعْتْ - لعلُه خيرْ

الدُّوح على الصَّفّينْ تَجَمّدْ وانْبَهَمْ

اللُّوحَةْ مَرْسُومَةْ بأَلَمْ

وخُيوطْها منْقُوشَةَ ونَحيلَةَ زىّ بيتِ العنْكَبُوتْ

وِسْط السما

ووَرَاها نُورِ البَدْر شاَشَة

قولْ غُلاَلَةْ مُبْهَمَةَ

يا لّلى نسجتِ الخيطْ ومَنّيْت الفؤادْ بالمُسْتَحيلْ

قلتْ ليه الكونْ جَميلْ

يعنى علشانِ البَشَرْ

يتلهو بسحْرِ القَمَرْ

ينْسوا إنّ النّور وراهْ محزونْ عليلْ

ايه اللى فكرنى بعمر ؟

كَانْ حِلْمْ عَايِزْ يكْتِمِلْ

والاّ اكتملْ ؟

كان الحقيقة والاّ كان همسةْ خيالْ

زىّ الأمَلْ ؟

كانْ مُوجَةَ تايْهةْ فى بَحْر هَايِجْ قلّبُه مايجْ

والشُطوطْ ترْمى لشطُوطْ

كان قَوْقَعَةْ فى إيدْ اخْطَبُوطْ

جُوّاهَا لُولِيّه بنَاها منْ خيَالُهْ

حمّلها همُّه وكلُّ مَالُهْ

وتَركْها تِتْدحْرجْ على أرْضِ المُحيطْ

أنَا ليه أخَافْ م الأخْطَبُوطْ
انا م البَشَرْ
هىَّ دِراعَاتْ الوُحُوشْ حتْهِزّنى
وانا قلْبى فيه مِلْيونْ دِراعْ
وعينّى احلامِ القَمَرْ

ايه اللى فكرنى بعمر ؟

الفهرس

الصفحة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب٥٤٦٧ / ١٩٩٧

I.S.B.N 977 - 01 - 5196 - 3